حول المقاطعة العربية لنظام كامب ديفيد

لماذا نعارض إعادة الاعتبار لمصر السلطة ؟

نشرت مجلة "اليسار العربي" التي تصدر في باريس مقالا للشخصية الوطنية المصرية البارزة ميشيل كامل حول المقاطعة العربية لنظام كامب ديفيد في مصر والمحاولات الرجعية المبذولة لاعادة الاعتبار الى هذا النظام والتخلي عن المواقف السياسية التي ارتبطت بقرار المقاطعة ، ويجيب ميشيل كامل في هذا المقال على السؤال الهام : لماذا تعارض القوى الديموقراطية والتقدمية داخل مصر وخارجها اعادة الاعتبار لمصر السلطة ؟

كسب الوقت .. تمهيدا للانقضاض

كنا ندرك منذ البداية أن الرجعية العربية عارضت أسلوب كامب ديفيد دون الجوهر ، وأنها تناور بذكاء لكسب الوقت من أجل تمهيد الظروف المناسبة لتعميم نهج كامب ديفيد ، الذي تطبق عمليا محتواه الأساسي بتكريس وتعميق وضع التبعية والسعي لاخضاع المنطقة كلها للنفوذ الامبريالي .

وقد جاءت الاحداث التالية لتمهد الأجواء لتعميم المخطط الامبريالي :

- مقتل السادات أتاح للجناح الديماجوجي المناور « الفهلوي » من البرجوازية التابعة ان يبرز على حساب تيار العنف الفج « العصبجي » داخل الائتلاف الحاكم ، ليمارس نفس السياسة بأساليب اكثر دهاءاً .

وكان القدر القليل من المناورة السياسية والتصريحات المخادعة والتعديلات الهامشية في اساليب الحكم و « الاصلاح الاقتصادي » كافيا لايقاع تصدع عميق بين قيادات البرجوازية الوطنية . اذ نشطت عملية الاستقطاب داخلها وغذت نزعات الوفاق والتعايش مع النظام ، وحصرت حركة قسم كبيرة منها في اطار اصلاح و « إنقاذ » الوضع التبعي القائم . وقدمت تنازلات أساسية ومبدئية ، خاصة فيما يتعلق بكامب ديفيد ومطلب تأميم - أو تمصير - رؤوس الأموال الاجنبية والمحلية الكبيرة ، باعتبارها حجر الزاوية ومعيار الجدية في معركة القضاء على التبعية .

وهكذا لم يكن غريبا أن تتبنى وتبرر هذه القوى للدعوة الى « إعادة مصر للصف العربي » . وتعمد الى تزيين وتضخيم التعديلات الهامشية في ممارسات السلطة وإشاعة الأوهام حول امكانيات التغيير ، وإختلاق المعادلات والنظريات لتسويق « الأمر الواقع » .

وأيا كانت الدوافع والخلفيات ، سواء نوايا طيبة يجافيها الصواب أو تبريرات واعية لنزعات التخاذل وتأمين الذات ، فقد شكلت هذه الأفكار والانشطة الركيزة الأساسية لمساعي الامبريالية والرجعية العربية لتعميم كامب ديفيد .

مزاعم « اجماع المعارضة المصرية »

وقد أصبح ما يشاع عن « إجماع » الاحزاب والقوى الوطنية المصرية على إلغاء المقاطعة .. وضرورة الالتزام بهذا الموقف بإعتبارهم « أصحاب القضية » (رغم معارضة الحزب الشيوعي والتنظيمات الماركسية والعديد من الشخصيات الوطنية) أصبح الورقة التي يلوح بها ويستند اليها وتستخدم جوازا للمرور لكل من يريد « اعادة الاعتبار » للنظام المصري .. وليس مجرد « إعادة العلاقات » ، إذ أن حيثيات « العودة » تطرح في ضوء مزاعم عن خطوات واتجاهات « التغيير » .. و « المستجدات » في السياسة المصرية .. والرغبة في التحلل من الالتزامات .. والتجميد العملي للاتفاقيات .. و « الابتعاد » عن كامب ديفيد .. الخ .

- العدوان الاسرائيلي على لبنان ، المدعوم امريكيا ، والذي استهدف تصفية المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وتوجيه ضربة قاصمة للنظام الوطني السوري ، لاضعاف مثلث الصمود الاساسي وتعديل موازين القوى في المنطقة لمصلحة المشروع الامريكي ..

- الانشقاق داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، وما ترتب عليه من شرخ غائر في جسد حركة التحرر العربية ، ضاعف من آثاره السلبية توجه أكبر تنظيماتها للانقاء و « الاحتماء » بأقطاب معسكر الثورة المضادة ، وفي مقدمتهم النظام المصري .. وما صحب هذه الخطوة من حملات اعلامية للاشادة بدور مصر « القومي » المزعوم ، واستغلت الرجعية العربية الرصيد القومي الشعبي لمنظمة التحرير الفلسطينية في ترويج الأوهام عن تحولات جوهرية في السياسة المصرية .

و « المحلل » .. من الصف الوطني

وهكذا شكلت مزاعم « اجماع الحركة الوطنية المصرية » ، ثم لقاء فتح مع النظام المصري ، أهم جسرين للعبور الى مصر كامب ديفيد ، التي لم تزعم او تدعي اطلاقا الشرف الذي تسبغه عليها هذه القوى - قسرا - من تجميد كامب ديفيد أو العمل للتحلل من التزامات المعاهدة الثلاثية .. بل جعلت مبارك يتفاخر أمام هذه التراجعات بأنها تؤكد أن « مصر كانت دائما على حق » ، وينفي بحسم قاطع أي إتجاه للتخلي عن « التزاماتها » .

ومن الطبيعي ان تحرص الرجعية العربية على أن لا تكون البادئة بكسر حاجز المقاطعة حتى لا تضفي عليه ظلالها القاتمة ، وإنما تترك هذه المهمة لقوى وطنية ، تلعب دور « المحلل » للعلاقة « الآثمة » المستهدفة .

ومن هنا كانت المهمة الصعبة للقوى الثورية ، ففي ظروف تستلزم اعظم وأعمق وحدة في مواجهة الهجمة الامبريالية الرجعية الشرسة ، كان عليها أن تتصدى بحسم للنزعات اليمينية داخل حركة التحرر العربية من أجل حماية معسكر الثورة وصد اشعاعات الفكر الاستسلامي ولجم اتجاهات الوفاق والمصالحة مع الرجعية وتصليب عود من اصابتهم « الشيخوخة اليمينية » عبر عملية الاستقطاب المتنامية في ظروف الأزمة الراهنة لحركة التحرر .

تاكتيك مرحلة تعميم كامب ديفيد

واذا كانت قضية قطع العلاقات واعادتها مسألة تاكتيكية - كما سبق أن أوضحنا - فلماذا نوليها كل هذا القدر من الاهتمام ، ونعارض الدعوة الى تطبيع العلاقات مع النظام المصري ؟

اننا ننطلق من رؤية محددة للمخطط الامبريالي ، في جوهره ومراحله المتلاحقة . فرغم أن الشاغل الاول والأساسي للمعسكر الامبريالي - الصهيوني كان تمرير المعاهدة المصرية - الاسرائيلية - الامريكية بغض النظر عن التفاعلات والمضاعفات التي تنتج عنها ، الا أن إنجاز هذه الخطوة لا يمكن ان يحرف أنظارنا عن حقيقة أن الهدف الرئيسي والبعيد للمخطط هو تعميم كامب ديفيد كمشروع للهيمنة الامبريالية على المنطقة بأكملها . وأن أولى متطلبات هذا التعميم تتمحور في « إعادة مصر الى الصف العربي » محملة بقيود التبعية ، فهو الضمان الوحيد لتنفيذ مخططها ، وذلك بحكم وزن مصر المكاني والاقتصادي والعسكري و « الحضاري » ، ولكون برجوازيتها هي الأعرق والأرسخ تقاليدا وامتلاكا للبنى الفكرية والسياسية والاقتصادية المؤهلة لتولي هذا الدور .

كما أن مسألة « قطع العلاقات » أصبحت من قبيل التاكتيكات الرئيسية ، الوثيقة الارتباط بالأهداف الاستراتيجية ، خاصة بعد ان اتخذ القرار وطبق لفترة طويلة ، فأصبح له دلالة خاصة - وذاتية - واكتسب مضمونا سياسيا متميزا لا يمكن مقارنته بما كان له وقت إتخاذ القرار .

واذا جاز العدول عن التاكتيك ... فما هو التاكتيك المقابل ؟! واقع الأمر أن التراجع يجري دون بديل أو شروط .. أي أنه يشكل إرتدادا عن مواقع وطنية لا يستهان بأهميتها .. وبلا ثمن ، ويتضمن تبنيا من الناحية العملية للتكتيك النقيض ، الذي تسعى قوى الثورة المضادة لتطبيقه - اعادة الاعتبار لنظام كامب ديفيد - من أجل تحقيق هدفها الاستراتيجي الأعم والأشمل . وسبيلها الى ذلك لا يشوبه أي غموض .

- استمرار مصر في وضع التبعية ، مكبلة بقيود كامب ديفيد . وهي قضية محسومة من جانب السلطة المصرية .

- « عودة مصر » ، بمعنى توثيق علاقاتها بالنظم الرجعية العربية ، وبما يمكن استقطابه من قوى اليمين الوطني .. المؤهلة للارتداد . وبما يكفل دور قيادي للبرجوازية المصرية التابعة في اطار استراتيجية « الاجماع الاستراتيجي » الأمريكية .

- محاصرة النظم والقوى الوطنية والتقدمية في جزر مطوقة معزولة حتى يسهل الانقضاض عليها بهدف تصفية او اضعاف فاعليتها .

انقاذ الوطن .. أم النظام !!

وقد بادرت قطاعات من البرجوازية الوطنية الى ابتكار صيغة للتملص من التزاماتها ومواقفها السابقة ، فطرحت ، كحل وسط - في المجلس الوطني الفلسطيني - الدعوة الى « الاقتراب من النظام المصري بقدر ابتعاده عن كامب ديفيد » . وهكذا فقد امدت اليمين بأمضى سلاح للتغطية على تراجعه .

وهذه « المعادلة » قد تبدو مقبولة ظاهريا .. الا ان دلالة الشعارات وحصيلتها في التطبيق رهن بتوقيت طرحها وطبيعة القوى التي تتولى تفسيرها وتنفيذها ، ومن هنا كانت معارضتنا لهذه الصيغة منذ اللحظة الاولى ، فإختلال توازن القوى في المنطقة ، وتفاعلات عملية الاستقطاب التي بلغت الذروة بعد العدوان الاسرائيلي ، وغلبة ممثلي الفكر البرجوازي القومي اليميني على قيادة حركة التحرر العربية - بقصر نفسهم وطبيعتهم المزدوجة - كلها عوامل كانت كافية للتنبيه الى الأخطار الكامنة في استثمار هذه المقولة لمصلحة اليمين .. كما حدث بالفعل ، فشاهدنا تراجعات جسيمة في مواقف وبرامج الاحزاب والقوى السياسية الشرعية في مصر ، بحثا عن نقاط مشتركة و « برامج انقاذ » على أسس اصلاحية « في اطار النظام القائم » بديلا عن « انقاذ الوطن من النظام القائم » .. و « اقترب » التنظيم الأساسي في م . ت . ف . من النظامين المصري والهاشمي ، « مبتعدا » عن القوى الأساسية في حركة التحرر العربي .. ونشط دعاة « العودة » .

بعد ذلك يستعرض ميشيل كامل الخلفية الفكرية التي يستند اليها نهج الاقتراب من نظام كامب ديفيد في القاهرة والتي تقوم على محاولات تجميل صورة النظام وتغذية وتأجيج مناخ الوهم حول "تغييرات اساسية وانجازات متوقعة قد تصدر عنه لمصلحة الخط الوطني والترويج لما يسمى بازدواجية السلطة وتمايز مؤسساتها مما يتيح لاصحاب هذا النهج الدفاع عن هذه المؤسسات (خاصة الرئاسة) بدعوى انها مغلوبة على امرها امام ضراوة وتآمر الساداتيين الى شرار ؟! ..

- وفي هذا الاطار تنمو النزعة لاسترضاء السلطة والخضوع لابتزاز اليمين الرجعي ، ... افكاره وتوجهاته ومواقفه السياسية ... الشريعة الاسلامية ، سحب شعار ... ومطلب تأميم الاحتكارات الاجنبية ... الكبير والتهجم بين حين واخر على ... والاتحاد السوفياتي والنظم الوطنية العربية ...

- تبرير « ومنطقة » التراجعات ... موقع المسؤولية والالتزام « بواقعية » ... روح الاستسلام للواقع وتقبل « بحرية » ... وعوامل خارج إرادة البشر (لا قبل لنا ...) أن امكانية تغييرها تستدعي توفر ظروف ... بصورة تجعلها بعيدة . أو مستحيلة ... الغاء كامب ديفيد يتحقق فقط عندما ... المصري قادر على احتلال اسرائيل (...) يضيفون احتلال امريكا ايضا !) ... (تأميم) برأس المال الاجنبي والاحتكار ... الكبير يترتب عليه انهيار الهياكل الاقتصادية ... بسبله خمس سنوات من الاصلاحات ... البنية الاقتصادية - الاجتماعية ... اصبح « هذا هو قدرنا » .. وليس ... والتعايش .. امام التحديات الجوهرية ... بالقضايا الاساسية للنضال .. ونركز ... الاصلاح - خاصة في المجال الاقتصادي ... ونواصل « النضال » من أجل انتزاع ... ودعم الاتجاهات والقرارات الايجابية ... بعض اطرافها - والتصدي للسلبيات ... عناصر القوة و « رباط الخيل » بشكل ... « علاني » مسؤول !!

التبعية .. وحكم القدر

وبتأثير تفشي وباء « الشيخوخة ... » ... مجرد الثبات على المواقف الوطنية ... طرحت في عهد السادات) أو التنكر ... السياسة الناصرية ، اصبح ... استفزازيا و « طفولة يسارية » وتطرف ... مسؤول !

ولم تأت من فراغ ، تلك الكتابات التي ... الفترة الأخيرة ، مستفيدة من هذا المناخ ، ... كتاب السلطه - ويقدمون اسانيد ... انتفاء او تلاشي الخلافات الجوهرية ... الرئيسية في البرامج الانتخابية (...) الشرعية (على الأقل فيما اصطلح ... « بأحزاب يوليو ») .

تلميذ تاتشر النجيب

تصاعدت في سجون تركيا منذ مطلع هذا العام اضرابات المعتقلين السياسيين اذ تجاوز عددها (١٠٦) اضراب وذكرت وكالات الانباء ان ستة من المعتقلين قد لاقوا حتفهم .

وتأتي هذه الاضرابات ضمن النضال العنيف الذى تخوضه القوى التقدمية والديموقراطية مع جماهير الشعب ضد الديكتاتورية الفاشية العسكرية في تركيا التي سلمت مقادير بلادها للامبريالية وشنت هجومها القمعي على التنظيمات والمؤسسات والاحزاب المعارضة وزجت بالمئات في غياهب السجون وبطشت تنكيلا وتعذيبا بالمعتقلين .

وقد احتجت المنظمات العالمية المهتمة بحقوق الانسان والحريات الديموقراطية في برقيات استنكار ارسلت للنظام التركي على هذه الممارسات وشنت الصحافة العالمية الديموقراطية حملاتها عليه منددة باجراءاتها القمعية .

وتحت ضغط الرأى العام العالمي عقد رئيس الوزراء (تورجوت اوزال) قبل مدة مؤتمرا صحفيا حاول فيه الدفاع عن سياسة حكومته الا انه اعلن بكل صفاقة انه لن يستجيب لمطالب المعتقلين المضربين واشاد مستشهدا بزعيمة الامبريالية البريطانية قائلا " انه عندما حدث اضراب مماثل في بريطانيا فقد صمدت تاتشر وتشبثت برايها الى ان توقف المعتقلون عن اضرابهم بعد موت عدة اشخاص منهم " .

ومن شابه اسياده ما ظلم !!

حملات تفتيش دائمة في انقرة